

عند الأفق المسدود في غزة

الكاتب



عبدالله السناوي

استغلقت حرب غزة على أي أفق سياسي يفضي إلى وقف الإبادة الجماعية والتجويع المنهجي لأهلها المحاصرين. لا إسرائيل حسمت أياً من هدفها: اجتثاث «حماس» واستعادة الرهائن دون أثمان سياسية. ولا غزة بوارد الاستسلام رغم ضراوة العدوان عليها.

عند الأفق المسدود بالنيران المشتعلة وتعطيل أي صفقة جديدة توقف الحرب يجري خلالها تبادل الأسرى والرهائن تبدو المنطقة كلها على شفا الانفجار. كان ذلك تحذيراً مدوياً لأمين عام الأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش أمام مجلس الأمن الدولي.

«بنص تحذيره: «الوضع هش».

في نفس الليلة التي أطلق فيها تحذيره استخدمت الولايات المتحدة حق النقض «الفيتو» لإجهاض مشروع قرار قدمته الجزائر لإكساب دولة فلسطين العضوية الكاملة في المنظمة الدولية. كان ذلك تأكيداً عملياً على ما ذهب إليه

في نفس الليلة شنت إسرائيل هجوماً رمزياً ومحدوداً على أصفهان رداً على هجوم إيراني أكثر جرأة بمئات المسيرات والصواريخ الباليستية.

عند انسداد الأفق السياسي بكتل النيران أكدت معادلة ردع جديدة في الشرق الأوسط. لم تعد إسرائيل محصنة من الهجوم عليها، ولا مطلقة السراح أن تفعل ما تشاء في الوقت الذي تشاء وبالكيفية التي تراها

الحسابات الاستراتيجية خشية التورط في حرب إقليمية واسعة وضعت حدوداً للهجومين الإيراني والإسرائيلي

ما جرى مشهد افتتاحي لما قد يحدث تالياً من انفجارات ومخاطر إذا لم توقف الحرب على غزة وينفسح المجال لحل سياسي ينصف الضحية الفلسطينية.

الحرب الإقليمية قد تؤجل لفترة أو أخرى دون أن تغادر أشباحها الإقليم المأزوم. هذه حقيقة لا يصح التجهيل بها، أو استبعادها بالأمني المحلقة.

لخمس مرات في أقل من سبعة أشهر استخدمت الولايات المتحدة حق النقض في مجلس الأمن لإجهاض أي قرار دولي يتبنى وقف إطلاق نار فوري ومستدام، أو إعطاء الفلسطينيين شيئاً من الأمل بترفع تمثيلهم في المنظمة الدولية إلى العضوية الكاملة.

في جلسة مجلس الأمن، التي واكبت العملية الإسرائيلية المحدودة وفي الأراضي الإيرانية، نفى وزير خارجيتها إسرائيل كاتس عن إيران شرعية تواجدها في الأمم المتحدة باعتبارها «دولة إرهابية»، أو أن يكون للفلسطينيين دولة كاملة العضوية للسبب نفسه.

هذا مجلس إرهاب.. لا مجلس أمن.. كانت تلك إهانة للأمم المتحدة، وللأغلبية الساحقة التي صوتت لصالح منح فلسطين العضوية الكاملة وجرأة متناهية بالنظر إلى أن إسرائيل متهمة أمام محكمة العدل الدولية بارتكاب جرائم إبادة جماعية.

عبر الانسداد السياسي عن نفسه بـ«الفيتو» الأمريكي.

ناقضت واشنطن خطابها المعلن بتبني «حل الدولتين» كمدخل لا بديل عنه في أي تسوية سياسية تقتضيها ضرورات خفض التصعيد في الشرق الأوسط.

التصرفات ناقضت الادعاءات.. الانكشاف كان فادحاً، فلا جدية التزام بـ«حل الدولتين»، الذي يقره الخطاب الدبلوماسي الدولي بالإجماع.

بقوة الحقائق فإنه وهم من الأوهام التي تساقطت في الحرب على غزة.

دون أي أوهام إضافية فإن الولايات المتحدة طرف رئيسي في الحرب على غزة.

لم يكن بوسع إسرائيل تمديد العدوان لنحو سبعة أشهر لو لم تكن الإدارة الأمريكية توفر لها غطاءً عسكرياً واستراتيجياً كاملاً.

قد تتحفظ على مستوى كفاءة المستويين السياسي والعسكري في إدارة الحرب، لكن الأهداف واحدة والخلاف لا يتعدى التكتيك إلى الاستراتيجية.

أقلت «الانتقام الدموي»، بتعبير غوتيريش، من أي قيد أخلاقي، أو سياسي وقانوني.

مضت حرب الإبادة والتجويع إلى حد استهداف موظفي الإغااثات الدولية والأطعم الطبية وكل ما يتحرك في الشوارع، أو يختبئ في البيوت المهدمة.

لمرات عديدة طلبت واشنطن إجراء تحقيق بشأن جريمة أو أخرى، ثم لا يحدث شيء، كأن إسرائيل دولة فوق القانون الدولي!

أجهض صمود الفلسطينيين مشروع التهجير القسري بالتشبهت حتى الموت بأراضيهم وعدم مغادرتها أو الانقلاب على المقاومة رغم الآلام، التي لا يطيقها بشر

أكدت الحقائق نفسها، يستحيل تماماً إلغاء القضية الفلسطينية، أو نفي شرعيتها، وحق شعبها في تقرير مصيره بنفسه.. أحيت القضية الفلسطينية من تحت الرماد، وأثبتت الحرب أن هزيمة إسرائيل ممكنة

تغيرت معادلات الردع في الشرق الأوسط كله.. إذا لم يكن هناك أفق سياسي يضع حداً للمعاناة الفلسطينية فإن الإقليم كله، لا الأرض المحتلة وحدها، سوف يدخل دوامات عنف وفوضى لا يسلم منها بلد أو نظام

تمديد العدوان على غزة يجعل الانزلاق إلى حرب إقليمية سيناريو محتملاً من دون أن يغادر المشهد المشتعل انفلاتاً بالنيران في رفح، ينال من مليون ونصف المليون نازح، أو اجتياحاً للجنوب اللبناني بذريعة تأمين الشمال الإسرائيلي وإعادة المستوطنين إلى بيوتهم

لا يمكن العودة إلى ما قبل السابع من أكتوبر، ولا تلخيص القضية الفلسطينية في معونات ومساعدات إنسانية يحتاجها أهالي غزة المحاصرون

إنها قضية تحرر وطني أولاً وأخيراً. هذه حقيقة يفضي التجهيل بها إلى انفجار الإقليم كله، إذا لم يكن اليوم فإنه حادث لا محالة